صنع الأولون تاريخاً عظيماً .. فقد نشروا رسالة .. وحملوا أمانة .. وصاغوا فكراً .. وخلفوا تراثاً .. وجاء الأحفاد على طريق الوفاء ، فراحوا يستكشفون التاريخ .. ويستنهضون الحضارة .. فجمعوا التراث .. واستلهموا الموروث .

فجاءت « الجنادرية » لوحة رائعة .. عمقها تاريخ طويل ثري .. وظلالها عطاء إنساني متواصل .. ومزجت ألوانها عراقة القيم وأصيل العادات وإنجاز الحاضر .. واتسعت أبعادها بقدر ما أسهم به إنسان هذه الأرض في صرح الحضارة الإنسانية . إنها لوحة الجنادرية التي جمعت بين زواياها — في تناغم بديع — عبق التاريخ ، وروعة الحاضر ، واستشراف المستقبل .

هيئة التحرير

الجنادرية ٩

استكشاف للتاريخ

واستنهاض للحضارة

الجنادرية

جاء المهرجان الوطني التاسع للتراث والثقافة « الجنادرية » ــ هذا العام ــ ثرياً معطاءً كسابقيه مؤكداً على رسالة الحرس الوطني الحضارية حيث يضطلع بدور ريادي في الحفاظ على الموروث الفكري والثقافي لإنسان هذا الوطن من خلال تبنيه فكرة المهرجان ، وإقامته بصورة سنوية ، ومتابعة الجهد لتطويره وصولاً إلى أفضل النتائج . وهو عمل يعد ترجمة أمينة لقناعة المسئولين وعلى رأسهم سمو ولي العهد الأمين بأن هذا المهرجان هو أحد الآليات التي يمكن من خلالها دعم الهوية الذاتية التي تكونت لإنسان هذا الوطن عبر التاريخ ، وغرس مفاهيم الفخر والاعتزاز وصدق الانتماء في نفوس الأجيال المتعاقبة ، لتدخل عالم المستقبل واثقة الخطى ممتدة الجذور بموروثها الفكري والحضاري التليد ، مدعومة بحاضرها الآمن المستقر ، مطمئنة إلى مستقبلها الزاهر المشرق بإذن الله . خاصة وأن هذه الأرض مهد الإسلام ومنبت حضارته تحمل في جنباتها الجذور التي يتعلق بها الوجدان العربي لغة وشعراً وتاريخاً ، ومفاهيم وقيماً ، وهي المرجع الذي يؤوب إليه كل الناطقين بالعربية ، والتي تهوي إليه أفئدة كل من يتخذ الإسلام ديناً ومنهج حياة ، فعلى هذه الأرض نشأ تراث عريض ، وعَتْ منه ذاكرة التاريخ الشيء الكثير .

كان لابد من صون هذا التراث ودراسته واستخلاص ما فيه من قيم سامية ، والتمسك بها ، والإصرار عليها ، وكان لابد من الحفاظ على الهوية الثقافية المنفردة ، وإبرازها حتى لاتضيع معالمها وسط الأنماط الواردة والنظم الوافدة ، ولكي لاتطمسها الأساليب المستحدثة في الإنتاج والاستهلاك وحتى لاتضمحل من الأذهان ، بل لكي تعيها آذان واعية من الأجيال الجديدة التي نشأت في رغد من العيش ، ولم تعرف إلا حياة الدّعة ومنتجات الحضارة المادية المعاصرة .

ذلك ما أكده معالي النائب المساعد لرئيس الحرس الوطني في توجهه لسمو ولي العهد الذي رعى حفل الافتتاح نيابة عن خادم الحرمين الشريفين : « فما قام هذا المهرجان على عصبية ذميمة أو ضيق أفق بكل ما هو إنساني وحضاري ، بل أردتم أن يكون منه مدخلاً واسعاً إلى تراث عربي وإسلامي ، تلتقي من حوله رعايتكم له واهتمام أبناء أمتكم به إلى أن يصل بنا هذا إلى دولة الملك عبد العزيز يرحمه الله ، التي أقامها على أبواب عصر الاكتشافات العلمية ،

وهي ما تتعاملون معها اليوم في هذه الظروف بحكمة وبعد نظر إن شاء الله » .

ولم يكن النشاط التراثي في مهرجان هذا العام بأقل شهرة من النشاط الثقافي ، ذلك أن الأمم الحية تسعى جاهدة على أن تبصّر أبناءها بدور أجدادهم وإسهاماتهم الحضارية ، وتحرص كل الحرص على إبراز ما خلفوه من تراث . فلا تضيع هويتها ، وينسى الأبناء في زحمة التطور فضل الأجداد ، فجمعت الجنادرية موروثاً من مختلف جوانب الحياة ، مادي وفكري ، صناعات وحرف ، أساطير وحكايات ، عادات وتقاليد . ومن ثم شهدت جنادرية هذا العام حضوراً جماهيرياً فاق كل التوقعات ازدحمت فيه المعارض والأجنحة والميادين الشعبية بالزائرين ، وتواصل التفاعل الدائم الذي تحظى به المزرعة والدياسة والسواني والمورد والحراثة والحصاد .

ولعل من أشد معالم الجنادرية التي لا تخطئها عين ، ذلك التحدي الحضاري الواضح .. من ارتباط القرية الطينية بمستحدثات العصر ، من حولها طرقاً معبّدة ، ووسائل مواصلات واتصال غاية في الحداثة ، ومن تعانق سعف النخيل مع التقانة المتقدمة في كل جوانب الحياة المعاصرة . إنها الجنادرية التي جمعت بين نقاء التراث ، وأصالة الموروث ، وبين معاصرة الحداثة ومواكبة المدنية .

تضمنت جنادرية العام التاسع ١٤١٤هـ فعاليات ثقافية عبّرت عن حاضر وواقع معاش ، وعرضت تراثاً ناطقاً بما في تاريخ الأمة من أمجاد ، فالتقى على صعيدها نخبة من المفكرين وأصحاب الرأي بهدف إثراء الثقافة ، بتقويم ما اعوج في مسيرتها ، ودفع التفوق والإبداع نحو المزيد .

فجاء النشاط الثقافي للمهرجان ــ كما عبر عنه ــ سمو الرئيس العام لرعاية الشباب ــ في حفل افتتاح فعالياته معبراً عن « تواصل ثقافي لكل مدارس الفكر الجاد والثقافة الأصيلة التي تسعى مخلصة لإثراء التراث العربي وللحفاظ على قيم الفكر الإسلامي شكلاً وجوهراً .. بعيداً عن المزايدات المهدرة للطاقات ، والمهاترات الصارفة للجهد ، والمناورات الهامشية المفرقة للجمع .. » .

ولم يقف النشاط الثقافي هذا العام عند مجرد رصد الظواهر الثقافية التراثية ، بإدراك القوى والمبادىء والاتجاهات التي حركت تلك المظاهر ، وكانت سبباً في إيجادها ، وباعثاً لحركتها ، وإنما سعى أيضاً لربط المظاهر الثقافية التراثية بحاجات العصر ، مؤكداً على الخصوصية الثقافية للعالمين العربي والإسلامي .

إن التاريخ هو الأحداث والذكريات ، وحلو الزمان ومره . والأمم الحية تعمد من آن لآخر إلى استكشاف نفسها ، وإمعان النظر في مسارها ، فتستخلص من التاريخ دروسه ، وتستنتج العبر من تجاربه .. فتعمّق مواطن القوة ، وتصلح مكامن الضعف ، ومن هذا المنطلق كان الاختيار موفقاً إلى أبعد الحدود . فموضوعات النشاط الثقافي جاءت وثيقة الصلة بتاريخ هذه الأمة ، موصولة في الوقت نفسه بالمستقبل ، متطلعة إليه في محاولة تبنّي استراتيجية التعامل مع النظام الدولي الجديد وما يثيره من متغيرات ذات تأثير على قضايانا الحيوية . فقد كانت الحاجة ضرورية إلى استكشاف جديد لواقعنا العربي في خضم المتغيرات السياسية والاقتصادية والتقانية والمعلوماتية ، وكانت الحاجة أكثر إلحاحاً إلى مناقشة بعض القضايا المنبثقة عن أوضاع عالمنا الإسلامي ، ووضع هذه القضايا في إطارها الصحيح حتى يكون المسلمون على بينة من أمرهم في مواجهة واقعهم ومستقبلهم . وكان وعي المهرجان عظيماً بخطورة الإعلام ، فقدم له المؤتمر الرؤية الصادقة التي تساعد على تحمل مسئولية تأكيد الهوية الثقافية في ظل تحقيق المعادلة الصعبة بين الانفتاح والتقليد ، فالثقافات التي تسعى للازدهار والبقاء حية قادرة على الإشعاع تنفتح على ما سواها من الثقافات بالأخذ والعطاء ، في حين يبقى الانبهار بكل ما هو قادم ، والتقليد لكل ما هو جديد ، والاعتماد على غير الذات في الإبداع والابتكار هو الابتعاد عن مقومات ثقافتنا المتميزة ، وهويتها المميّزة .